سورة النازعات

سميت هذه السورة الكريمة بالنازعات؛ لورود هذا اللفظ في مستهلها، ومقاصد هذه السورة قريبة من مقاصد سورة النبأ، فإن فيها ما في القرآن المكي من المقاصد العقدية:

فمن مقاصدها: إثبات البعث، وبيان أهوال يوم القيامـة.

ومن مقاصدها: بيان مصارع المكذبين بالبعث، كما في قصة فرعون.

ومن مقاصدها أيضاً: تقرير توحيد الربوبية، المقتضي لتوحيد الألوهية. كما في قوله: [ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾]، وما بعدها .

ثم أخيراً من مقاصدها: إثبات أفعال العباد، وترتب الثواب والعقاب عليها.

[وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾] .

هذه أمورٌ خمسة أقسم الله ﷻ بها، ولله ﷻ له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته . قيل في هذه الخمس جميعاً أن المراد بها الملائكة، وقيل غير ذلـك .

[وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا] أي: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً شديداً، وتجذبها جذباً أليماً . فمعنى [غَرْقًا] أي : شديداً ، من الاستغراق بالفعل، فهو نزع شديد ، كما جاء موصوفاً في حديث البراء بن عازب ﷺ : " كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ "رواه أحمد[(1)] ، فإن روح الكافر عند القبض، تتفرق في أنحاء جسده، فإذا نزعتها الملائكة وقالت: [أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾] [الأنعام/٩٣]، تتفرق روحه في جسده، فينزعها الملك نزعاً شديداً . وهذا مروي عن جمع من الصحابة – رضوان الله عليهم –، وقيل في تفسير [وَٱلنَّٰزِعَٰتِ]: أي الموت، كما يقال نزعات الموت، أو نزع الموت، وقيل أيضاً أن المراد بالنازعات: النجوم التي تنزع من جهة إلى جهة، وتتحرك من جهة إلى أخرى، فهي تنزع من جانب من السماء إلى جانب، وتنتقل من منزل إلى منزل، وقيل المقصود بالنازعات: القسي الذي يكون فيها السهم، فكأن الله تعالى أقسم بهذه القسي حينما تنزع إلى منتهاها ، وقيل في تفسير [وَٱلنَّٰزِعَٰتِ] النفس .

---

(1) مسند الإمام أحمد (١٥٨٣٤) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

هذه أقوال خمسة، وأقرب هذه الأقوال القول الأول، وهو أن المراد بالنازعات الملائكة حين تنزع أرواح الكفار من أجسادهم .

[وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾] أحسن ما قيل فيها: الملائكة حينما تسل أرواح المؤمنين سلاً رفيقاً، كما جاء موصوفاً في حديث البراء بن عازب ﷺ : " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ "رواه أحمد[٢] ، وسل القطرة من السقاء أرفق ما يكون، لا صوت، ولا ألم. فأقسم الله بالملائكة حينما تسل أرواح المؤمنين من أبدانهم. وقيل فيها أيضاً ما قيل في سابقتها؛ أن المقصود بالناشطات الموت، أو النجوم حينما تنشط من جهة إلى جهة، وقيل فيها أيضاً المقصود بالناشطات: الأوهاق، يعني الحبال التي ترمى بها الأنشوطة، فيسحب بها الصيد، والأنشوطة: حبل يكون فيه كالعقدة، يرمى على الشيء البعيد، فيجر به.

[وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾] ، الأصل في السبح العوم في الماء، وأيضاً في الهواء، فالسبح لا يكون فقط في الماء، بل يكون في الهواء أيضاً، ولهذا يوصف الجواد بأنه سابح، كما قيل:

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وأولى الأقوال، كما أسلفنا، أن المراد بها الملائكة حينما تعرج في أجواز الفضاء صعوداً، وهبوطاً، بأمر الله ﷻ، فإن الملائكة كما أخبر الله: (تعرج الملائكة والروح إليه) ، وقال : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا)، فالملائكة تصعد وتهبط بأمر الله ﷻ، وقيل في [وَٱلسَّٰبِحَٰتِ] أيضاً ما قيل فيما قبلها؛ أن المراد بها الموت، وقيل أن المراد بها النجوم؛ لأنها تسبح في الفضاء، وقيل فيها أيضاً السفن؛ لأنها تمخر اليم فهي تسبح فيه.

[فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾] هذه الفاء للتفريع تدلنا على أن جميع المذكورات شيء واحد، وصفات لموصوف واحد، فالمذكورات السابقة النازعات، والناشطات، والسابحات هي لموصوف واحد وهي الملائكة على القول الراجح، وأنها ليست أنواعاً يعني ليست النازعات شيء، والناشطات شيء، والسابحات شيء، بل كل هذه صفات لجنس واحد؛ لأنه أتى بعد ذلك بالفاء للتفريع على ما مضى.

---

[٢] مسند الإمام أحمد (١٥٨٣٤) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

[فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤] أي: الملائكة تتسابق في امتثال أمر الله، وتنفيذ ما يطلب منها من أنواع الوظائف التي أناطها الله بها. وقيل أيضاً إن المراد بالسابقات: الموت كما قيل فيما مضى، وقيل المراد بها الخيل؛ لأن السابقات مما توصف به الخيول كما قال الله تعالى: [وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١] فهن يعدون ويتسابقن، وقيل أيضاً: المراد بها النجوم؛ لتسابقها في المطالع والمغارب .

وأولى الأقوال هو القول الأول كما أسلفنا.

[فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥] أما المدبرات فإنها بإجماع المفسرين: الملائكة، فهي تدبر الأمر الذي يأمرها الله تعالى به. وهذه الجملة الأخيرة، التي هي الوصف الخامس، تؤيد أن جميع ما مضى صفات لموصوف واحد؛ لأن الله تعالى عطف المدبرات على السابقات، والسابقات جاءت مصدرة بالفاء التي تفيد التعقيب، فهذا يرجح بقوة أن النازعات، والناشطات ، والسابحات، والسابقات، والمدبرات كلها طوائف من الملائكة، أناط الله تعالى بها أعمالاً ووظائف.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان. والملائكة عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ"خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" رواه مسلم[٣]، وسخرهم لعبادته وطاعته ، فهم يسبحون الليل والنهار لا يسئمون ، ولا يفترون ، ولا يستحسرون. وقد جعل الله تعالى طبيعتهم طبيعة تعبدية، لا ينزعون إلى الشر أبداً، على النقيض من الشياطين الذين جعل الله طبيعتهم طبيعة تمردية. وبين الطائفتين الإنسان؛ فإن الإنسان ليس كالملك لا ينزعه إلا الخير، وليس كالشيطان لا ينزعه إلا الشر، بل هو كما قال الله تعالى: [وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠]، فالإنسان بين بين، فهو إن زكى نفسه صارت نفسه ملائكية؛ يعني طائعة لله ﷻ لا أنه يكون ملكاً، لكن تصبح نفسه نفساً مطيعة لله ﷻ منقادة كالملائكة، وإن كانت الأخرى صارت نفسه شيطانية.

هذه الآيات الخمس أقسام، بين الله تعالى المقسم به ولم يبين جواب القسم؛ والظاهر والله أعلم، أن الله تعالى أخفاه إما تعظيماً لشأنه، وإما لشهرته؛ لكونه هو الأمر الذي كان يجري الخلف فيه مع مشركي

---

[٣] صحيح مسلم (٢٩٩٦).

العرب، وهو البعث . فتقدير جواب القسم : لتبعثن. كأن الله تعالى يقول والنازعات، والناشطات، والسابحات، فالسابقات، فالمدبرات لتبعثن.

أقسم الله تعالى بهذه الطوائف من الملائكة على أمر عظيم جليل، عليه مدار الحياة، وإقامة الحق، وهو البعث بعد الموت، الذي كان ينكره مشركو العرب، ولا ريب أن هذه القضية قضية عظيمة ثقيلة بها مسار الحياة؛ فإن من امتلأ قلبه بالإيمان باليوم الآخر، انضبط، وصار عنده حس يقظ ، واستعداد، وشعور بالمسؤولية لما هو مقبل عليه .

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: إقسام الله تعالى بما شاء من مخلوقاته، فلله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله وحده. فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، عن سعد بن عبيد أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول" مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ"رواه أبوداود والترمذي[٤]، أما الله ﷻ فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وآياته الكونية، والشرعية .

الفائدة الثانية: إثبات الملائكة، وأعمالهم.

الفائدة الثالثة: أن إخفاء المقسم عليه يكون للتعظيم، أو للشهرة، فالله تعالى قد أخفى المقسم عليه، وهذا يزيد الأمر جلالةً ومهابةً .

---

[٤] سنن أبي داود (٣٢٥٣)، سنن الترمذي (١٥٣٥)، صححه الألباني.

[يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤] هذه تسع آيات ذات وحدة موضوعية واحدة.

[يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧] هذا الظرف متعلق بما أضمر، وتقديره: لتبعثن يوم ترجف الراجفة. والراجفة: قيل في تفسيرها: النفخة الأولى التي يحصل بها الصعق، والرادفة النفخة الثانية التي يحصل بها البعث روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما(٥). ولا ريب في وجود نفختين، فإن الله سبحانه وتعالى قال: [وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨] [الزمر:٦٨] فالنفختان هما: نفخة الصعق، ونفخة البعث. وأضاف بعض العلماء نفخة ثالثة، سموها نفخة الفزع، واستدلوا لذلك بقوله تعالى [وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧] {النمل:٨٧} وبقول النبي ﷺ في "...ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا..." رواه مسلم(٦) قال ابن كثير: "الليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا. فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق"(٧)، وقيل: إن المراد بالراجفة هي الأرض نفسها؛ لقول الله تعالى: [يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ۝١٤] [المزمل:١٤]، والرادفة: السماء؛ لكون انشقاق السماء يأتي بعد ذلك، فتكون الراجفة الأرض حين ترجف، والرادفة السماء حين تنشق إثر ذلك. ولعل ما ذهب إليه ابن عباس أقرب.

[قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩]: صور الله سبحانه وتعالى، مظاهر الفزع، والخوف، ظاهراً، وباطناً؛ أما الباطن ففي قوله: [قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ] أي: خائفة، والخوف محله القلب وأي خوف أعظم من ذلك الخوف الذي لا يدرى صاحبه إلى أين يصار به؛ إلى جنة أم إلى نار؟ تخيل نفسك في بعض مواقف الدنيا، في أمر دنيوي عما قليل تتجاوزه، وتشتغل بغيره

(٥) تفسير الطبري (٦٥/٢٤).

(٦) صحيح مسلم (٢٩٤٠).

(٧) تفسير ابن كثير (٢١٦/٦).

كيف تقلق، تترقب؟ فكيف بهذا الأمر الأبدي، السرمدي، الذي هو نهاية حال العبد ؛ فلذلك كانت القلوب واجفة .

[أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ]: أبصار أصحاب القلوب خاشعة، أي: ذليلة؛ لأن الخشوع هو الهبوط قال تعالى: [تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ] [فصلت:٣٩]. ولا ريب أن القلب هو خبيئة العبد، ولا ريب أن العين، أعظم ما يظهر عليه الأثر. فالعين هي المرآة التي تكشف عما في القلب. ولما وصف الله حال الظالمين، قال: [يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ] [الشورى:٤٥] !

[يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾]: تساؤل يكشف عن قلق، وتوتر، وعجب لا ينقطع. [لَمَرْدُودُونَ]يعني: معادون، [فِى ٱلْحَافِرَةِ] الحافرة: هي الحياة بعد الموت. يعني أنعود نحيا بعد أن متنا ، كما وصف الله ﷻ هذا في موضع آخر: [وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾] {يس:٥١} والنسلان هو الإسراع في المشي، [قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا] {يس:٥٢} ما كانوا يتوقعون هذا ولا يأملون ؛ لأنهم كانوا منكرين للبعث، [هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ] {يس:٥٢}، فيالها من مفاجأة ، وأي مفاجأة ! صدمة هائلة لهؤلاء المنكرين للبعث. وتأمل وقع هذه الآيات على منكري البعث!، لا ريب أن مثل هذه الآيات هزت كثيراً من القلوب ودعتها إلى الإيمان ، إلا من أبى. وقيل في تفسير الحافرة، أي: الأرض؛ يعني: أنحن مردودون إلى الأرض التي كنا نسكنها ؟ وقيل، وهو قول بعيد: [ٱلْحَافِرَةِ]النار. ولا يستقيم هذا مع قولهم [لَمَرْدُودُونَ]؛ لأنهم ما كانوا فيها حتى يردوا إليها. وأصل الحافرة في لغة العرب: رجوع المرء من الطريق الذي أتى منه. تقول العرب : " رجع فلان إلى حافرته " كأن الإنسان إذا سلك درباً حفر أثره في طريقه، فإذا قيل رجع فلان إلى حافرته، كأنما قيل رجع أدراجه، على سيرته، وخطته التي مشاها.

[أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً]: يعني بعد أن كنا عظاماً، بالية، فانية، فارغة يصوِّت فيها الريح؛ لأنها لما بليت، صارت مجوفة، فصارت الريح تصفر فيها، تدخل، وتخرج. وقيل أيضاً من معاني نخرة: مرفوتة، يعني مدقوقة محطمة .

[قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢] : يعني إن كان الأمر كذلك، فهذه رجعة لا خير فيها، والعياذ بالله؛ لأنهم يعلمون أنهم أساءوا في الأولى، فهم غير متفائلين بهذه الرجعة، فلذلك حكموا على رجعتهم بأنها خاسرة ،لا خير فيها .

[فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣] : يعني كل ما في الأمر، فالأمر هين بالنسبة لله ﷻ، أنها زجرة واحدة، وحسب، والزجرة: هي الصيحة، لكنها بهذا التعبير زجرة تعطي معنىً أشد، من كلمة صيحة، ففيها معنى العنت، والعنف، زجرة واحدة، لا مثنوية فيها.

[فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤]: يعني فإذا القوم تنشق عنهم قبورهم، ويبعثون؛ ليكونوا في الساهرة، والساهرة: هي الأرض بعد التبديل. يقول الله ﷻ: [يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨] {إبراهيم:٤٨}، فالأرض التي يبعث عليها الناس، أرض كالقرصة، وكالخبزة ، ليس فيها معلم لأحد؛ فإن الله أخبر عن الجبال فقال تعالى: [وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧] {طه:١٠٥-١٠٧} ، مشهد مهيب، مهول، تعود الأرض ممدودة كمد الأديم، ليس فيها معلم لأحد عن سهل بن سعد ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ".قَالَ: سَهْلٌ: أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ"رواه البخاري(٨)؛ لا جبل يشرف منه الإنسان، ولا وادٍ يُكنُّه، بل يصبح الناس قياما على حد سواء. وقيل في تفسير الساهرة: أنها اسم مكان معروف من الأرض في الشام، وقيل : إنه جبل إلى جانب بيت المقدس. وأقرب هذه الأقوال أن الساهرة هي الأرض التي تكون بعد التبديل، أرض ليست كأرضنا التي نحيا عليها الآن، بل أرض مهيأة لاجتماع الخلائق عليها، منذ آدم ﵇ إلى آخر من يموت على وجه الأرض، ليس الآدميين فحسب، بل كما سيأتي إن شاء الله، [وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥] [التكوير ٥] ، فالعشار، والوحوش، وكل شيء يجتمع على تلكم الأرض .

هذه الآيات العظيمة تتضمن إقرار عقيدة البعث، بأوضح ما يكون، وبأشد ما يكون! فالله سبحانه وتعالى يبدأ بذكر ما يجري يوم القيامة؛ من رجف الأرض، فيخبر الله ﷻ بأن هذه

---

(٨) صحيح البخاري (٦٥٢١).

الأرض المستقرة، التي امتن علينا باستقرارها في موضع، فقال : ([أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا] {النمل:٦١}، ضع يدك على الأرض تحس أنها مستقرة، لم يدر بخلدك يوماً أن تتحرك، وتهتز، هذه الأرض ترجف [يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ]، ورجف الأرض مقارن للنفخة الأولى، فلا تعارض بين التفسيرين، ولا مانع من الحمل عليهما معاً، [تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ] نفخة أثر نفخة. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ: "أَبَيْتُ" قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ: "أَبَيْتُ" قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: "أَبَيْتُ" متفق عليه[9]. فالله أعلم، بأي تقدير تلك الأربعين، ويكون حال الناس، ما وصف الله تعالى من وجف القلوب، واضطرابها، ومن خشوع الأبصار وقلقها، وحيرتها، فزعاً مما هي مقبلة عليه. ويتساءل المنكرون للبعث في ذلك المقام، تساءل المشدوه، الفزِع، المصدوم: [أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ] لما كنا فيه من حياة، معادون للأرض التي كنا نسكنها ؟ يا لها من خسارة فادحة ! فهم قد علموا من حالهم أنهم كانوا مكذبين، وحق عليهم ما توعدهم به نبيهم ﷺ، فأدركوا أن أمرهم في خسار، وسفال، فلذلك جزموا [قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ]، وبين الله تعالى أن الأمر حق، لا مثنوية فيه: [فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ].

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: إثبات النفختين.

الفائدة الثانية: عظم شأن الساعة. ولهذا كان من رحمة الله ﷻ أن الساعة، لا تقوم على مؤمن، لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَدْعُونَ اللهَّ بِشَيْءٍ إِلاَّ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ"رواه مسلم[10] .

الفائدة الثالثة: بيان مظاهر الخوف؛ الظاهرة، والباطنة؛ الباطنة في القلوب، والظاهرة في الأعين.

الفائدة الرابعة: صدمة الكفار يوم القيامة، وشدة ندمهم.

---

[9] صحيح البخاري (٤٨١٤)، صحيح مسلم(٢٩٥٥).

[10] صحيح مسلم (١٩٢٤).